العِلم في المفهوم القرآني

م.م. محمّد كاظم حسين الفتلاوي
جامعة الكوفة -كلية الفقه

ملخص بحث:

تعرض الباحث من خلال ثنايا البحث إلى أهمية العلم في المنظور القرآني بعد أن عرض موجز لفلسفة الغرب نحو العلم، وكيف آلت آراء علمائهم ومنظريهم إلى جعل الإنسان آلة معقدة مقطوع الصلة بالله تعالى، وهو ما لحظه في فلسفة ونظريات: داروين ونيوتن وفرويد وفولتير وديكارت.

وأوضح الباحث خطر الانقياد الأعمى لهذه الفلسفات اتجاه العلم، فهي وليدة صراع أرباب الدين مع أهل العلم، في حقبة من عصور آنذاك.

فكان البحث من عدة مطالب؛ فكان المطلب الأول في العلم ودعوة التعليم في القرآن الكريم، وكان فيه بيان مادة (ع ل م)، متقصي ورود هذه المفردة في آيات الكتاب العزيز بصيغها المختلفة، مستدلاً بهذا الاستقراء على فضل العلم وبالغ أهميته في المفهوم القرآني، وكذلك تعرض الباحث لمعنى العلم وأقسامه عند المتقدمين من علماءنا موضحاً الفارق بين العلم والشعور والمعرفة، وثم بيان دعوة التعليم في القرآن الكريم من خلال الوقوف مع النصوص الكريمة المتعلقة بهذا المعنى، مستعيناً بآراء المفسرين والمفكرين في تأكيد مدلولها.

وفي المطلب الثاني والذي كان تحت عنوان طبيعة الفطرة الإنسانية ونسبية المعرفة العلميّة في المفهوم القرآني، حيث تجلى من خلال الآيات المباركة إن النفس البشرية وطبيعة هذا الدين كلاهما من صنع الله سبحانه، وكلاهما موافق لناموس الوجود وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه، وان ليس ثمة تعارض بين الإدراك الفطري والمكتسبات الخارجية.

وأما نسبية المعرفة العلمية فهو ما أكده القرآن المجيد في مواطن عديدة مثالنا كان في قوله تعالى: **(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)** و قوله سبحانه: **(وقل رب زدني علما)** وكذلك قوله تعالى: **(وعلمك ما لم تكن تعلم)** وغيرها.

وبهذا كان لابد لإتمام فرضية البحث من التعرض إلى فريضة البحث العلمي ووسائل تحصيله في المفهوم القرآني، فكان المطلب الثالث تحت هذا العنوان المتقدم، وتناول فيه الباحث بالإجمال الخطاب القرآني للعقل ورفع مستوى الإدراك فيه، وكذلك عرض وسائل تحصيل العلم وحسب نصوص القرآن

الكريم، فكانت في ثلاث مستويات إدراكية: أولها السمع والذي هو أساس العلم المنقول عن الوحي، أو عن السابقين، والبصر والذي هو أساس العلم المادي القائم على الملاحظة والتجربة، والفؤاد وهو أساس العلوم العقلية.

مبيناً من خلال البحث إن إعمال العقل يعصم الضمير ويدرك الحقائق، ويميز بين الأمور ويوازن بين الأضداد.

وفي المطلب الرابع تناول الباحث فيه نظرة القرآن الكريم الشاملة التي تحوي بداخلها الظواهر الكونية، وما يدخل تحت اسم العلوم الطبيعية التي تعرض لها القرآن الكريم في كثير من مواضع على جهة الاختصاص لان القرآن الكريم والكون تعبيران لحقيقة واحدة وان التصور للكون في المفهوم القرآني يقوم على فكرة إن الوجود كله من خلق الله تعالى أودعه سبحانه قوانينه التي تتحرك بها ، فكان تحت عنوان: العلوم الطبيعية في المفهوم القرآني.

أما المطلب الأخير فكان بعنوان العلم واليقين في المفهوم القرآني، مشيراً إلى إن العلم سبيل اليقين، ومعرجاً فيه أيضاً إلى درجات اليقين الثلاث: (علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين)، ولأجل إتمام الفائدة تناول الباحث أسباب التوجه لحصول اليقين، إذ توافر هذه الأسباب يحصل اليقين وتذعن النفس للتصديق، مستعيناً الباحث بطبيعة الحال بالآيات القرآنية وإشاراتها في إتمام فرضية البحث، فهي أدوات البحث ومَعينه، فتكون النتيجة هو خلوص الإيمان وان المعرفة هي أفضل أنواع العبادات والمقربات، فالمعرفة والعلم مقياس قيمة الإنسان.. وان الإيمان الذي لا يقترن بالعلم ليس له تأثير يُذكر، وان العلاقة متبادلة بين المعرفة والإيمان، وان هذا الإيمان يكون مبني على رؤية واضحة وبصيرة نافذة، وتدبر فيما خلق الله سبحانه، والقناعة المبنية على أساس المعرفة والتفكير العلمي، هو المطلوب حقاً للإنسان المؤمن، والعامل الرسالي للعلم في المفهوم القرآني، وبهذا كانت خاتمة البحث وخلاصته.   والحمد لله رب العالمين.

<u>مقدمة:</u>

إذا كانت قيمة الإنسان، وكرامته، وعلو منزلته من بين الموجودات، وعظمته هي نبله الفائق في النظام الطبيعي، فان بعض الفلاسفة والشعراء مالوا إلى تحقيره، والحط من قيمته كما فعل توماس هوبز، ونيتشه، بل إن بعضهم رأى فيه مجرد كائن طبيعي لا يعزى إليه أي عنصر علوي، يخرج به عن أن يكون جزءاً خالصاً من الطبيعة كما فعل داروين الذي جعله ذروة التطور البيولوجي، وجاء علماء النفس في عصرنا أو قبله بقليل، فتأثروا بفيزياء نيوتن منهاجاً وغاية، وهي فيزياء تجاوزها العلم، وعفي عليها الزمن، لان الإنسان ليس حزمة من المنبهات والاستجابات، فأين الغايات وأين القيم، وفهم الذات، واستشعار الآخر واستشفافه؟ وتناسوا إن القيم الذاتية تؤثر على الدماغ نفسه.

وذهب فرويد إلى أنَّ الإنسان لم يعد محور الخليقة، أو موضع عناية إلهية خيرة، وأصبح الإنسان عند السلوكيين مجرد آلة معقدة، كما هو عند فرويد موجود لا عقل له، إذ جعل اللاوعي هو الذي يتحكم في سلوكه، وأصبح العقل الواعي هامشياً[١].

وهذه النظرة إلى الإنسان مقطوع الصلة بالله، أدت به إلى تهيئة ما يدمر العالم الذي يعيش فيه، وأصبح خطراً على نفسه وعلى الأرض، بما وصل إليه علمه وتقنياته التي خلت من رؤية الله، ونوره

الذي يتجلى في الموجودات كلها، وكأن الإنسان وخاصة الغربي منه الذي يملك العلم والتقنية قد اكتفى بوجوده عن وجود الله، واستغنى عنه فرفع القداسة عن الكون، ولم يعد الكون يتحدث للإنسان عن معناه، بعَدّه رمزاً لحقيقة أخرى أعلى، تلك الحقيقة التي تخفيها مظاهر الكون، وتوحي بها في الآن نفسه، إذ إن بناء الكون ونسقه يحمل رسالة روحية موجهة للإنسان، وهي رسالة ثانية بجانب رسالة الوحي.

ونلحظ مثل ذلك في فولتير (ت١٨٧٨م) حيث أصبحت عنده فلسفة الإنسان مجرد مخلوق أرضي ليس له أية غاية سوى أن يستغل ثروته الطبيعية ويتحكم فيها، وأضحى العلم الذي وهبه الله له مجرد أداة لإشباع حاجاته، باعتباره حيواناً ذا عقل، وظيفته التحليل والتركيب، وأدى فهم الطبيعة فهماً مادياً خالصاً إلى اعتبار الاقتصاد غاية في ذاته، وان التقدم الحقيقي هو: هذا التقدم الاقتصادي(٢).

وإن من نتيجة ذلك أن ساد الطابع الكمي على العلم الحديث الذي مهد له ديكارت في نظرته الميكانيكية الرياضية إلى العالم؛ فأصبح ذلك اتجاهاً عاماً يرد كل كيف إلى كم(٣).ومعنى ذلك إن العلم الطبيعي في هذا المفهوم قطع صلته بالله (عز وجل)، ونسيت علاقة الإنسان بالله مصدر الوجود والمعرفة، فمظاهر الكون باعتباره آيات ذات دلالة غير مادية اختفت، ولا معنى لها إلا في العلاقات فيما بينها، وهي التي يعبر عنها في صيغ رياضية كمية، وساعد هذا التقدم في العلم الدنيوي على الفصل بين الدين والعلم، والبُعد عن المقدس، وعن الله ﷻ، وشريعته ولم يبق للعلم إلا الامتداد الأفقي في الوجود المادي.

ومن هذا التمهيد نلحظ انه إذا أراد الإنسان المعتنق للمفهوم الآخر للعلم أن يكون في سلام مع الطبيعة فلا بد من أن يكون في سلام أولاً مع النظام الروحي، ولكي يكون في سلام مع الأرض، لابد من أن يكون في سلام مع السماء.

ولكي يستعيد الإنسان إنسانيته وكرامته، عليه أن ينقذ العلم من الانقطاع عن الله (عزوجل)، وان ينقذ موضوع العلم الذي هو الكون عن الانقطاع عن خالقه.

وإذا نظرنا اليوم إلى ساحة الفكر العلمي والفلسفي في عالمنا الإسلامي لوجدنا أن المشتغلين بموضوعات فلسفة العلم ليسوا بطبيعة الحال مخيرين إلا بين أمرين لا ثالث لهما: بين أن ينزلقوا إلى ضياع المذاهب الفلسفية المتصارعة ويغرقوا في مستنقعها مع الغارقين، وبين أن يحاولوا صياغة فلسفة تخصهم على أساس القيم والعقيدة، وفي كلا الأمرين ينشغل الكثيرون بالجري لاهثين وراء الفلسفات الوضعية للمفاضلة بينها واختيار أنسبها في رأيهم للتقليد أو للتطبيق بصورة عمياء، بالرغم من إنهم أكثر الناس علماً بتاريخ هذه الفلسفات الذي يشهد بأنها متعادية فيما بينها ومتداعية مع مرور الوقت، وغالباً ما تنتهي بانتهاء أصحابها(٤).

وربما يُعزى اعتناق الكثيرين لهذه النظريات الوضعية إلى عدم اطلاعهم على تراثنا الإسلامي وعلى المضامين العالية في القرآن الكريم، فقد فتحوا عيونهم على فكر غربي ظنوا بأنه هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه، وكانت أسماء الأعلام والمذاهب في الفكر الإسلامي لا تجيئهم إلا أصداء مفككة متناثرة، كالأشباح الغامضة يلمحها وهي طافية على سطور الكاتبين. وعندما استيقظ البعض بعد فوات

أوانه، طفق يزدرد تراث آبائه ازدراء العجلان كأنه سائح مرّ بمدينة باريس، وليس بين يديه إلا يومان، ولا بدّ له خلالهما أن يريح ضميره بزيارة (اللوفر)، فراح يعدو من غرفة إلى غرفة، يلقي بالنظرات العجلى هنا وهناك، ليكتمل له شئ من الزاد قبل الرحيل، هكذا اخذوا يعبون صحائف التراث عباً سريعاً، والسؤال ملء سمعهم وبصرهم: كيف السبيل إلى فلسفة أو ثقافة موحدة متسقة يعيشها مثقف حي في عصرنا هذا، بحيث يندمج فيها المنقول والأصيل في نظرة واحدة ؟[٥]

وما أن وصلوا إلى هذا المنعطف الفكري حتى بدأت حيرتهم بين التقليد والتجديد، والأصالة والمعاصرة، والمعقول واللامعقول، كما أصبحت كلمة (الاغتراب) تتردد اليوم على كلِّ لسان، ويستعان بها في فهم الخصائص المميزة للعصر الحاضر[٦].

ويلحظ الباحث أن معظم هؤلاء الحيارى من المفكرين الذين مازالوا يتحسسون الخطى على الطريق الجديد لم يستطيعوا التخلص تماماً من اثر النظريات التي انبهروا بها طلاباً، وقاموا بتدريسها والترويج لها بعد أن أصبحوا أساتذة وكتاباً ونقاداً؛ ولا يعني الباحث هنا هو عدم الاقتباس من الآخر، بل الذي نرمي إليه ما عناه الشيخ مرتضى ألمطهري بهذا الصدد بقوله: (إن إثبات ثقافة وحضارة ما لا يعني أنها لم تستفد من الثقافات والحضارات الأخرى، لان هذا مستحيل؛ إذ ما من ثقافة في العالم إلا استفادت من الثقافات والحضارات الأخرى، وإنما الكلام في كيفية الاستفادة والانتفاع.)[٧] والكيفية التي نواجهها كيفية الذين راحوا يبشرون بفلسفات إقليمية أو قومية تقوم على العلم وتتنكر للدين، وهذا بدوره تقليد أعمى، وانسياق ساذج وراء البدع والأزمات، فإذا استعرضنا مثلاً نتاج الفلاسفة العرب لوجدناه – على غزارته – أصداء تردد أصوات القطاعات الكبيرة التي ينقسم عليها عالم الفلسفة اليوم في أوربا وأمريكا، أو قد نرى من ترك العصر وما فيه، وارتد إلى ركن من التاريخ يلوذ به في دراساته، ويتجمد عنده في إطار نظرات شُراحه المباشرين دونما اعتبار لفارق العصر وتطاول الزمن.

وعندما نحاول رصد واستعراض الأدبيات المعاصرة التي تهتم بالرؤية الإسلامية لمجالات (العلم)، وبكل الأسف لن نبتعد عن الحقيقة كثيراً إذا قررنا إننا نكاد لا نجد لها مكاناً يذكر على خريطة المضمون المعرفي للمادة، اللهم إلا بعض الاجتهادات الفردية المتناثرة التي تهتم بالتاريخ لتراث المسلمين(أو العرب) العلمي في إطار الثقافة العلمية الإسلامية بصورة عامة[٨].

أما باقي موضوعات (فلسفة العلوم) التي تعالج وتحلل لغة العلم وتاريخه ومنهجه ونظريته وكل ما يتعلق بمسيرته، فيمكن القول بأنها مازالت بكراً في انتظار من يتناولها بالدراسة الأكاديمية المتأنية من منظور إسلامي[٩]. من هنا تظهر الحاجة الماسة إلى تأسيس ما ندعو إلى تسميته بـ(نظرية العلم الإسلامية). بعد أن اجتاحت البشرية اليوم موجة الحادية رهيبة، ومادية إباحية، كانت نتاجاً للثورة الصناعية التي حدثت في الغرب أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.

وإذا كان الصدام بين الدين والعلم له مبرراته في الغرب حين هاجم رجال الدين النصارى يومها العلماء الذين قالوا بكروية الأرض، وهددوهم بالحرق، وكان هذا الموقف يمثل حماقة شنيعة، لان

الدين الصحيح لم يُحرم البحث العلمي، وإنما دعا إلى البحث والنظر والتعرف على نواميس الله في الكون، واستثمار ذلك فيما يعود على البشرية بالخير.

وإذا كان ذلك الصدام له مبرراته فيما يتعلق بدين منتحل حارب العلم [١٠]، فان الأمر مختلف تماماً فيما يتعلق بالإسلام وكتابه الكريم القرآن، إذ إن القرآن لم يحارب العلم في يوم من الأيام. بل احتضن العلم في أول آيات تتنزل على الرسول (ص) .

وبعد هذا العرض السريع لماهية العلم في المفهوم الآخر (غير المفهوم القرآني) وبيان دوافع البحث وأهميته؛ فان هذا البحث المتواضع، والجهد الجهيد، لعله ينال رضا الله (تعالى) وبالتالي يُسهم في حفز الهمم نحو التعرف على أهمية العلم وماهيته في المفهوم القرآني فرضية البحث – كلمة (العلم) التي نعنيها في هذا البحث تطبق مجازاً على ما يجب أن يسمى (بالمعرفة العلميّة)، ويقصد منها في معناها العام إنها لفظ كلي لا يدل على علم محدد بالذات، بقدر ما يعنى عدة خصائص أو صفات مشتركة في كل نشاط عقلي إنساني حين ينصرف بشكل منظم إلى محاولة تفسير موضوعات معينة، تماماً كما تعني كلمة (إنسان) عدة خصائص أو صفات تنطبق على بني الإنسان[١١]، فالعلم في القرآن ليس مشخصاً في تحريك عجلة الحضارة إلى الأمام، بل يشمل صيانتها وصيانة محركها (الإنسان) من الانحراف عن المسار – ؛ ومدخلاً أو مفتاحاً لنظرية العلم وفق المفهوم القرآني، فتشرق الفطرة بنور الرضا واليقين. آملاً من الله إن يكون نافعاً في ديني ودنياي.

و بهذا لا ندعي الكمال فيما سطّرنا، فان الكمال لله وحده، حيث قال سبحانه وتعالى: **(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)** [١٢].

وبعد هذه المقدمة التي تضمنت بيان دوافع البحث ومقاصده يمكن بذلك نكون قد مهدنا لبحثنا هذا بتوطئه نستطيع التدرج من بعدها بمطالب لتحقيق فرضية البحث وعلى النحو التالي:

أولاً: العلم ودعوة التعلم في القرآن؛ وفيه:

١- العلم في القرآن الكريم

أ) مادة (ع ل م) في القرآن:

مَن قرأ القرآن الكريم وجد مادة (ع ل م) تشيع في سوره الكية والمدنية على السواء، بكل مشتقاتها اسماً وفعلاً ومصدراً،مئات المرات. ففعل (تعلمون) في خطاب الجمع تكرر ٥٦ مرة، بالإضافة إلى ٣ مرات بصيغة (فستعلمون)، و٩ مرات بصيغة (تعلمونا)، و٨٥ مرة بصيغة (يعلمون)، و٧ مرات(يعلموا)، ونحو٤٧ مرة تكرر فعل (علّم) وما يشتق منه وما يتعلق به.

كما تكررت صفة(عليم) مُعرّفة ومنكرة (١٤٠) مرة، وكلمة (علْم) مُعرفة ومنكرة (٨٠) مرة، وهناك صيغ أخرى تكررت كثيراً أيضاً.

وكل هذا التكرار لهذه المادة ومشتقاتها دليل مؤكد على فضل العلم وبالغ أهميته في المفهوم القرآني.

ب) معنى العلم وأقسامه:

قال الراغب (ت ٤٢٥هـ): العلم: إدراك الشئ بحقيقته، وذلك ضربان:

احدهما: إدراك ذات الشئ وهو الذي يسميه علماء المنطق: التصور .

والثاني: الحكم على الشئ بوجود شئ هو موجود له، أو نفي شئ هو منفي عنه وهو الذي يسميه المناطقة: التصديق، فهذا يعني إدراك النسبة، وذاك إدراك المفرد .

قال: الأول: هو المتعدي إلى مفعول واحد، نحو: (لا تَعلمُونهُمُ الله يُعْلَمُهُمْ)[١٣].

والثاني: المتعدي إلى مفعولين، نحو قوله تعالى: (فان علمتموهُنَّ مؤمناتٍ)[١٤].

كما قسم الراغب العلم من وجه آخر على ضربين: نظري وعملي.

فالنظري: ما لا يتطلب شيئاً أكثر من العلم به، فإذا علم فقد كمل، مثل العلم بموجودات العالَم.

والعملي: ما لا يتم إلا بان يعمل به كالعلم بالعبادات والأخلاقيات ونحوها.

قال: ومن وجه آخر، ضربان: عقلي، وسمعي.[١٥]

ويبدو للباحث انه يعني بالعقلي: ما كان طريقه العقل والنظر، وبالسمعي: ما كان طريقه الوحي والنبوة؛ وهذا من حيث الاستدلال والنظر.[١٦]

وقال بعض أهل اللغة: العلم والمعرفة والشعور كلها بمعنى واحد[١٧].

قال الزبيدي (ت١٢٠٥هـ): (والأكثر من المحققين يفرقون بين الكل.. والعلم عندهم أعلى الأوصاف، لأنه الذي أجازوا إطلاقه على الله تعالى، ولم يقولوا: (عارف) – والأصح – ولا (شاعر). والفروق مذكورة في مصنفات أهل الاشتقاق.

قال: ووقع خلاف طويل الذيل في (العلم). حتى قال جماعة: انه لا يُحد (أي لا يُعرف) لظهوره وكونه من الضروريات. وقيل: لصعوبته وعسره، وقيل غير ذلك، مما أورده بما له وما عليه أبو الحسن اليوسي في (قانون العلوم)، وأشار في (الدر المصون) إلى انه إنما يتعدى بالباء، لأنه يراعي فيه أحياناً معنى الإحاطة..

وذكر الزبيدي قول المناوي في (التوقيف): بان العلم هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع.. أو هو: صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض.. أو هو: حصول صورة الشئ في العقل[١٨].

وعن (البصائر): المعرفة إدراك الشئ بتفكر وتدبر لأثره، وهي اخص من العلم، والفرق بينها وبين العلم من وجوه لفظا ومعنى.

أما اللفظ ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد، وفعل العلم يقتضي مفعولين، ولذا وقع على مفعول كان بمعنى المعرفة.

وأما من جهة المعنى فمن وجوه:

احدها: إن المعرفة تتعلق بذات الشئ، والعلم يتعلق بأحواله.

والثاني: إن المعرفة – في الغالب – تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل: عرفه، بخلاف العلم، فالمعرفة تشبه الذكر النفسي، وهو حضور ما كان غائبا عن الذكر، ولهذا كان ضدها: الإنكار (ومنه: **(فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكرونَ)**[١٩]، **(يَعْرِفُونَ نعْمَت اللهِ ثُمّ يُنكرونَهَا)**[٢٠]، وضد العلم: الجهل.

والثالث: أن المعرفة علم لعَيْن الشئ مفصلاً عما سواه، بخلاف العلم، فانه قد يتعلق بالشئ مجملاً. قال: وبينهما فروق أخرى غير ما ذكرنا[٢١].

وقال الراغب: (المعرفة والعرفان: إدراك الشئ بتفكر وتدبر لأثره، وهو اخص من العلم، ويضاده الإنكار، ويقال: فلان يعرف الله، ولا يقال: يعلم الله – متعديا إلى مفعول واحد – لما كان معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: الله يعلم كذا، ولا يقال: يعرف كذا، لما كانت المعرفة تُستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكر. واصله من عرفت (الشئ) أي أصبت عَرفه. أي رائحته. أو من: أصبت عُرفه. أي خده. يقال: عرفت كذا. قال تعالى:

(فَلَمَّا جَاءهُم ما عَرَفُواْ)[٢٢]، **(فَعَرَفَهُمْ وهُمْ لَهُ مُنكرون)**[٢٣].

قال: والعارف في تعارف قوم (أي في اصطلاحهم) هو المختص بمعرفة الله، ومعرفة ملكوته، وحُسْن معاملته تعالى[٢٤].

وأياً كان حدّ (العلم) وتعريفه واختلاف المتخصصين في ذلك، وفي تحديد الفرق بينه وبين المعرفة، فالذي يعنينا منه هنا هو المعنى العام الذي ذكره الراغب، وهو: إدراك الشئ بحقيقته، فكل إدراك وكشف وتبين للمجهول من أي نوع وفي أي مجال، حتى تتضح حقيقته بالقدر الممكن للإنسان، فهو داخل في معنى (العلم) الذي يتحدث عنه القرآن.

٢- دعوة التعلم في القرآن الكريم

كانت دعوة القرآن الكريم إلى العلم واضحة وصريحة منذ أول آية نزلت منه قال تعالى: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ،)**[٢٥]وأطلق طاقات العقل، ودعاه للنظر في الكون: **(قُلِ انظُروا مَاذا في السّماواتِ والأرضِ)**[٢٦].

ومن خلال هذه الآيات نلحظ: (إن أساس الإسلام أقيم منذ البداية على أساس العلم والقلم ... ولذلك استطاع قوم متخلفون أن يتقدموا في العلم والمعرفة حتى يتأهلوا - باعتراف الأعداء والأصدقاء - لتصدير علومهم إلى العالم ! إن علم المسلمين ومعارفهم هو الذي مزّق ظلام القرون الوسطى في أوروبا وادخلها عصر الحضارة، وهذا ما يعترف به علماء أوروبا أنفسهم فيما كتبوه في حقل تاريخ الحضارة الإسلامية وفي تراث الإسلام .)[٢٧].

وتوآلت الآيات القرآنية نزولاً في الحثّ على العلم والرفع من شأن العلماء . ففي القرآن ما يقرب من سبع مئة وخمسين آية أو يزيد هي من صميم العلوم الطبيعية . بل إن الشيخ محمّد عبده يصرح بان أكثر من ثلث الآيات بل نصفها تقريباً تحث على النظر في الكون والبحث عن الأسباب والمسببات[٢٨].

ذلك أن إشادة القرآن بالعلم فتح أمام العباد سبل التعليم ومهّد لهم الوسائل لكي يكتسحوا كابوس الجهل بكلّ أشكاله وصوره من دون توقف ، بل حضّ على الاستزادة من العلم مع الملازمة لما يحدث من تغيير في المنهج ما دامت البشرية سائرة إلى الأمام ، قال تعالى : **(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)**[٢٩].

يقول الزمخشري(ت ٥٣٨هـ): (ما أمر الله رسوله (ص) بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم)[٣٠].

وهنا نلحظ: (إذا كان النبي (ص) مأمور أن يطلب زيادة من ربّه إلى آخر عمره مع غزارة علمه ، وروحة المليئة وعياً وعلماً ، فانّ واجب الآخرين واضح جداً ، وفي الحقيقة ، فان العلم من وجهة نظر الإسلام لا يعرف حدّاً ، وزيادة الطلب في كثير من الأمور مذمومة إلا في طلب العلم فإنها ممدوحة، والإفراط قبيح في كل شيء إلا في طلب العلم)[٣١].

وقال تعالى: **(الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)**[٣٢]. من المعروف أن سورة الرحمن من السور التي تتحدث عن النعم ويمكن تسميّتها بـ(سورة الرحمة) أو (سورة النعمة) فإنها بدأت بالاسم المبارك (الرحمن) الذي يشير إلى صنوف الرحمة الإلهية الواسعة[٣٣].

ولهذا نلحظ: (إن أول واهم نعمة تفضّل بها الله سبحانه، هي نعمة (تعليم القرآن)، وما أروعه من تعبير! حيث أننا إذا تأملنا جيّداً فإننا ندرك أن هذا الكتاب العظيم هو مصدر كل الخير والنعم والعطايا الإلهية العظيمة، كما انّه وسيلة للوصول إلى السعادة والخيرات المادية والمعنوية)(٣٤).

فالعلم الذي يأمر به القرآن الكريم لم يكن مقصوراً على جزئية معينة في هذا الكون بل هو جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق من شئ ،ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون ذي حياة وذي غير حياة(٣٥).

والظريف في الآية المتقدمة إن بيان نعمة (تعليم القرآن) ذُكرت قبل (خلق الإنسان) و (علّمه البيان) في الوقت الذي يفترض فيه أن تكون الإشارة أولاً إلى مسألة خلق الإنسان، ومن ثمّ نعمة تعليم البيان، ثمّ نعمة تعليم القرآن، وذلك استناداً للترتيب الطبيعي، إلا أن عظمة القرآن الكريم أوجبت أن نعمل خلافاً للترتيب المفترض.

وبالتالي كانت قراءة الكتاب الكوني شاملة مقترنة بالنظر والفكر والعبادة، قائمة على ما وضعه الله تعالى في كتابه من أسس المنهج العلمي للإنسان كي يتعلم ويسير عليه في نظرته للكون، وكان علينا أيضا أن نبحث عن أسس هذا المنهج وكيفية الاستفادة منه في أبحاثنا العلمية .

قال تعالى: (**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**)(٣٦).

نلحظ: في هذه الآية المباركة (أن التفكير في أسرار الخليقة، وفي نظام السماء والأرض يعطي للإنسان وعياً خاصاً ويترك في عقله آثاراً عظيمة، وأول تلك الآثار وهو الانتباه إلى هدفيّة الخلق وعدم العبثية فيه، فالإنسان الذي يلمس الهدفية في اصغر أشياء هذا الكون كيف يمكنه أن يصدق بأنّ الكون العظيم بأسره مخلوق من دون هدف، ومصنوع من دون غاية؟)(٣٧).

إذ لا معنى للأوراد والطقوس من غير التفكير(٣٨).والتفكير لو أراد مُريد أن يحصر فنون الفكر ومجاريه لم يقدر عليها، لأن مجاري الفكر غير محصورة، وثمراته غير متناهية .

وبذلك يكون العلم الذي يكشف عن سرّ الله في خلقه ومعرفة حقائق الوجود المكنونة التي تخرج إلى حيّز الوجود في ثوب علمي ببحوث العلماء وجهودهم، الذين كرمهم الله سبحانه ورفع من شأنهم، قال تعالى: (**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**)(٣٩).

ونلحظ في هذه الآية المباركة أهمية العلم واقترانه بالأيمان (وفي الحقيقة إن الموفقية في طريق التكامل وجلب رضا الله والقرب منه مرهون بعاملين أساسيين هما: (الإيمان والعلم، أو الوعي والتقوى وكل منهما ملازم للآخر، ولا تتحقق الهداية بأحدهما دون الآخر)(٤٠). لهذا وصف الله { أولي العلم بأنهم من اللذين يشهدون له بالوحدانية .

فقال تعالى: (**شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)(٤١).

ونلحظ هنا أن (العلماء في هذه الآية وضعوا إلى جانب الملائكة . وهذا بذاته تمييز للعلماء على غيرهم، كما يستفاد من الآية أن العلماء إنما امتازوا على غيرهم لأنهم توصّلوا إلى معرفة الحقائق ، وعلى رأسها معرفة وحدانية الله .

ومن الواضح أن الآية تشمل جميع العلماء ، أما قول بعض المفسرين بان (أولوا العلم) هم الأئمة الأطهار(ع) فلأن الأئمة من اظهر مصاديق ذلك)[٤٢].

إذن سبيل العلم في القرآن الكريم من سبل الحق تبارك وتعالى ووسيلة من وسائل تحقيق الإنسان لرسالته في الحياة عبداً لله ومستخلفاً في الأرض، أُمر بالقيام على عمارة الحياة قدر الاستطاعة في غير ضرر ولا ضرار[٤٣].

وهو ما يؤكده الشيخ محمّد الغزالي بقوله: (وليس ثمة تفاوت بين العلم والدين، فأنّ الله الحق هو مصدر الاثنين، وإذا لوحظ أن هناك اختلافاً فليس بين علمٍ ودينٍ ، بل بين دينٍ وجهلٍ اخذ سمة العلم، أو بين علمٍ ولغو لبس سمت الدين)[٤٤].

وبذلك يكون للعلم في القرآن طريق محدد يسير فيه، وهدف معين يرمي إليه، وهو المحافظة على الإنسان وإبقاء مكانته كآدمي، لكي يحقق الغاية من وجوده ويسخر ما في الكون لمصلحته ومنفعته بما وهبه الله {من فطرة وقدرة واستعداد للتعلم، بطريقة علمية أخلاقية ذات صلة ربانية .

ثانياً : طبيعة الفطرة الإنسانية ونسبية المعرفة العلمية فيها في المفهوم القرآني :

١- طبيعة الفطرة الإنسانية وقابليتها للتعلم في القرآن الكريم

قال تعالى: (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**)[٤٥].

فهذه الآية الكريمة جمعت بين ثلاثة أمور فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين وكلاهما من صنع الله وكلاهما موافق لناموس الوجود وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه[٤٦].

الأمر الثالث وهو الثوابت الكونية التي دلّ عليها قوله تعالى : (**لا تبديل لخلق الله**) فثبات تلك السنن واطرداها واتساقها فيما بينها مع السنن الجارية من السنن التي فطر الله الناس عليها .

إن (الآية المتقدمة تؤكد على أن الدين الحنيف الخالص الخالي من كل أنواع الشرك، هو الدين الذي ألهمه الله سبحانه في كل فطرة، الفطرة الخالدة التي لا تتغير، وان كان كثير من الناس غير ملتفت لهذه الحقيقة)[٤٧].

وبما أن (الطريقة العلمية يتوقف استخدامها على الوجه الصحيح على الاستعداد الفطري للمرء، وعلى النظرة التي اكتسبها خلال ثقافته وخبرته)[٤٨].

فانه ليس ثمة تعارض بين الإدراك الفطري والمكتسبات الخارجية (لأنه بالإدراك الفطري تميّز الأشياء بعضها عن بعضٍ، وتقول عن شيء منها انه ماء وعن آخر انه هواء وهكذا لا يكون بين الناس اختلاف في ذلك كله ،بل ولا يجوز لأحد أن يجعل شيئاً من هذا موضعاً لتشكك ما دام على صلة بالناس في مجال الذوق الفطري وحده، وان الأشياء في المجال الفطري تدرك بكيفياتها ،إذن الجانب فيه كيفي بخلاف الإدراك العلمي الذي فيه كميٌ لا كيفي، ومن هنا تظهر الدقة العلمية، والدقة لا تكون إلا بتحويل ما هو كيفي في مجال الإدراك إلى ما هو كمي مؤلف من وحدات متجانسة)[٤٩].

إذ الفطرة والمكتسبات الخارجية مصدران من مصادر العلم ولذا يقول جابر بن حيان(ت ٧٥٠هـ): (بانّ للعلم مصادر، احدهما المذهب القائل بانّ لدني ينبع من الفطرة، وثانيهما أنّ العلم آتٍ كله من

الخارج بالتحصيل والتلقين، ثم يضيف إليها ثالثاً أن يكون في نفس المتعلم استعداداً للتلقي ثمّ تجئ العوامل الخارجية فتستخدم ذلك الاستعداد الفطري)[٥٠].

حيث ان الفطرة الإنسانية هي أساس الوعي الكوني، وبها يبحث الإنسان ويتأمل في الكون، نظراً لأهميتها جاءت الآية مذكرة لها، فقال تعالى: **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)**[٥١].

وهو الملاحظ في ان القرآن الكريم سار بالفكر البشري قدماً معتمداً على ما فطر عليه الإنسان من اتجاه نحو التعقل والنظر، فهو دين الفطرة بحق في كل شيء فمن يدرسه يراه يتطابق مع مقتضيات الفطرة البشرية[٥٢].

ولذلك فان(الشعور الفطري بوجود الخالق من الدلائل الصادقة على وجود الخالق)[٥٣].أما ما يظهر على بعض الملحدين من الكفر بالله والاستهزاء بمن دعاهم إلى عبادته، فانّ ذلك لا يعني الكفر المطلق المبني على اليقين الكامل، وإنما هو انحراف في الطبيعة الإنسانية، وتحويل للغريزة الفطرية المتجهة إلى الخالق الحق إلى عبادة المخلوقات الأخرى، بسبب المبالغة في الانحراف بدافع لا أخلاقي، وظلم مرآة فطرته بدخان نار الشهوات، وبعض الغرائز العاتية المستكبرة[٥٤].ولذا فإننا نجد ذلك الملحد يستعمل سبل المغالطات والتفسيرات الخاطئة للأشياء تظليلاً وتمويهاً على السذج من أتباعه . فالانحراف والميل عن الخط السوي أمر طارئ على البشرية، وذلك حين فساد الفطرة[٥٥].ولأجل ذلك يذهب كثير من أهل العلم إلى القول بانّ القرآن لم يطل في الاستدلال على وجود الله، وإنما ركّز على تصحيح الاعتقاد به وتوحيده التوحيد الصحيح، وهذا صحيح، ولكن لما كان القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، والرسول الذي انزل عليه الكتاب خاتم الرسل، والدين الإسلامي خاتم الأديان، ولم يقبل من احدٍ التديُن بسواه كما قال تعالى: **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ)**[٥٦].وقوله تعالى: **(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ)**[٥٧]. كان لا بدّ أنْ يشتمل هذا الكتاب على الدعوة إلى العلم وحث الفطرة الإنسانية باستعمال الحجج والبراهين القاطعة التي تقمع شبهة كل منحرف أو معاند في كل زمان ومكان.

٢- نسبية المعرفة العلميّة :

من الضروريات التي أشار القرآن الكريم نسبية المعرفة العلمية، لان الحقائق لا تكشف عن نفسها ولا يكتشفها العقل دفعة واحدة بل تأتي على سبيل التدرج[٥٨].

وهذا الأمر يحتاج إلى بحث متواصل حتى تستطيع البشرية كشف السنن الموجودة في الكون والتي لم يكشف منها إلا القليل، لأن البشرية على الرغم مما وصلت إليه ما زالت حتى الآن على بعد من الشاطئ ولم تبتل أقدامها من بحر المعرفة[٥٩].

قال تعالى: **(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)**[٦٠].

وهنا نلحظ (أنّ الإنسان يشعر مع هذا البيان البليغ الواضح أنّ معلوماته مقابل علم الله كالصفر مقابل اللانهاية، ويليق به أنْ يقول فقط: (إنّ علمي قد أوصلني إلى أنْ اطّلع على جهلي فحتى التشبيه

بالفطرة من البحر لتبيان هذه الحقيقة لا يبدو صحيحاً)[61].

فالكل يغترف من معين العلم الإلهي، فالذي يأخذ من هذا المعين ويكتسب العلم كسباً لا بدّ أنْ يكون العلم نسبياً، وليس ذلك بعيبٍ في البشر ولكن له أهميته في اكتشاف حقائق الأشياء وخصائصها كماً وكيفاً[62].

وقال تعالى: (**وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**)[63]. وقوله تعالى: (**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**)[64]. وقوله تعالى أيضاً: (**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ**)[65].

هذه النسبية التي يرشدنا إليها القرآن تبيّن التفاوت بين البشر في المعرفة، فما يعرفه الإنسان ربما لا يعرفه الآخر، فليس هناك داعٍ للإنكار ما دام قد أصبح حقيقة واقعة، كما تُبين الآيات إنّ الحقائق لا تتكشف للعقل دفعة واحدة، بل الأمر في ذلك يتوقف على وضوح المقدمات وصفاء الذهن وقدرته على استنباط وإدراك العلاقات بين المقدمات والنتائج والربط بينها بأحكام الضرورة العقلية[66].حيث أنّ نسبية المعرفة تعطي دلالة التفرقة بين ما هو ضروري وما هو بديهي وما هو في حكم الغائب ليس دليلاً على عدم وجوده لأنه ربما يكشف بعد ذلك، فالإنسان لا يستطيع أنْ يحيط بكل شيء علماً ولكنه يحيط بجزء من العلم ،كما في قوله تعالى: (**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**)[67].

والنتيجة: (فالله تعالى وحده مطلق ومقدس، وقيمته بذاته هو وما يقول ويعمل، أما الإنسان، أي إنسان، فهو نسبي أي إن قيمته تقدر بالقياس إلى إنسان آخر أو إلى معيار له قيمة ما قد تكون نسبية)[68]؛ لكن يمكن للإنسان إذا انعم الله عليه وفتح عليه باب العلم أن يقترب من المطلق، ويمكن أيضاً أن يكون وسيلة وصول هذا المطلق إلى الإنسان النوع، وهذا هو حال الأنبياء والمعصومون(ع).

ثالثاً : فريضة البحث العلمي ووسائل تحصيله في المفهوم القرآني

١) فريضة البحث العلمي:

إنّ فريضة البحث أمرٌ قرآنيٌّ لا ينفر منه إلا ذو عقلٍ متجمد وفكر خاطئ لان فريضته من متطلبات الخلافة في الأرض والتي تميّز بها الإنسان بالعقل، الذي تخاطبه الآيات القرآنية وتدلل على قيمته .

ونلحظ أنّ (هذا الخطاب للعقل لا ينحصر في العقل الوازع ولا في العقل المدرك ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح، بل يعمم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني من خاصية أو وظيفية، إذ هي جميع ما يمكن أنْ يحيط به العقل الوازع والعقل المدرك والعقل المفكر الذي يتولى الموازنة والحكم على المعاني والأشياء)[69].

ولا شكّ أنّ تعاليم الإسلام رفعت المستوى العقلي عند العرب إلى درجة كبرى، فهذه الصفات التي وصف بها الإسلام، الله {، نقلت العرب من عبادة الأصنام والأوثان، وما يقتضيه ذلك من انحطاط في النظر وإسفافٍ في الفكر، إلى عبادة إلهٍ وراء المادة (**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**)[70].

ويبدو للباحث إن السبب في ذلك إن المعارف إذا اجتمعت في القلب، وتفاعلت على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى، فإذا حصلت

معرفة أخرى، وتفاعلت مع معرفة أخرى، حصل من ذلك نتاجٌ آخر، وهكذا تتكاثر النتائج، وتتمادى العلوم والمعارف والفكر إلى غير نهاية، والسبب في أنّ أكثر الناس منعوا الزيادة في العلوم: أنهم فقدوا رأس المال، وهو المعارف التي تثمر العلوم(٧١).

٢) وسائل تحصيل العلم:

وإذا كان طلب العلم فريضة – عَينية أو كفائية – وكان الازدياد مطلوباً طلب إيجاب، أو طلب استحباب،(**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**)(٧٢).فان لتحصيل العلم وسائل أساسية ثلاثاً في المفهوم القرآني؛نلحظها في:

١- السمع: وهو أساس العلم المنقول عن الوحي، أو عن السابقين.

٢- والبصر: وهو أساس العلم المادي القائم على الملاحظة والتجربة.

٣- والفؤاد: وهو أساس العلوم العقلية.

يقول تعالى: (**والله أحرجكُم مِن بُطُون أمهاتكُمْ لا تَعْلَمونَ شيئاً وَجَعَلَ لكُمُ السَّمْعَ والأبصَار والأفئِدَةَ لَعَلّكُمْ تَشكُرُونَ**) (٧٣). وفي موضع آخر نلحظ قوله تعالى: (**قُلْ هُو الذي أنشاكُم وَجَعَلَ لَكُمُ السمعَ والأبصارَ والأفئدَةَ، قليلاً ما تَشكُرُون**) (٧٤).

ويُلاحظ إن القرآن حين يذكر هذه الأدوات الإدراكية في الإنسان، يُقدم السمع دائماً على البصر!

ويبدو للباحث إن السمع اسبق من البصر استعمالاً في حياة الإنسان، فالمولود منذ ولادته يسمع الأصوات ويفزع من الصوت القوي، ولكنه لا يرى إلا بعد أيام من ولادته، ولان السمع أهم في التعلم والتعليم، وأقوى رسوخاً في ذاكرة الطفل، ومن هنا عرفنا على مدار التاريخ نوابغ من المكفوفين، ولم نرى مثل ذلك في الصم، ونلحظ أيضاً (إن الذي يورده السمع على القلب من العلوم لا يلحقه فيه كلال ولا سآمة ولا تعب، مع كثرته وعظمته، والذي يورده البصر عليه يلحقه فيه الكلال والضعف والنقص، وربما خشي صاحبه على ذهابه مع قلّته ونزارته بالنسبة إلى السمع)(٧٥).

وهناك تعليلات فسلجية كثيرة(٧٦) ومقارنات علمية بين السمع والبصر، واختلاف العلماء: أيهما أفضل؟ نرى من المناسب أن نخلص إلى ما خلص إليه ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) بقوله: (والصواب: إن كُلاًّ منهما له خاصية فُضِلَ بها على الآخر، فالمدرك بالسمع اعم واشمل، والمدرك بالبصر أتم وأكمل، فالسمع له العموم والشمول، والبصر له الظهور والتمام وكمال الإدراك) (٧٧).

ويلحظ الباحث أيضاً أنّ العقل في المفهوم القرآني جهاز الإدراك، أو ملكة الإدراك التي يناط بهما الفهم والتصور(٧٨).والقرآن الكريم يتناول العقل من حيث وظيفته، التي هي التعقل والتفهم والتدبر، فيدعو إلى ذلك وينعي على من لم يستخدمه الاستخدام الصحيح، من حيث سلامة المقدمات، للوصول بها إلى سلامة النتائج، فيقول جلّ شأنه: (**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)(٧٩).وقوله تعالى:(**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)(٨٠).وقوله تعالى:(**ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)(٨١).

أما القلب: ففي كتب اللغة: هو مضغة من الفؤاد، معلقة بالنياط، وقال ابن سيدة (ت٥٤٨هـ): القلب الفؤاد، وقد يعبّر بالقلب عن العقل، قال الفرّاء في قوله تعالى: (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ**)(٨٢). أي عقل .قال الفرّاء: وجائز في العربية أنْ تقول: مالك قلب، وما قلبك معك، تقول: ما عقلك

معك، وأين يذهب قلبك؟ أي أين ذهب عقلك؟ وقال غير الفرّاء: (لمن كان له قلب) أي تفهّم وتدبر، وقيل القلوب والأفئدة قريبان من السواء، قال الأزهري: ورأيت بعض العرب يسمى لحمة القلب كلها – شحمها وحجابها – : قلباً، وفؤاداً، قال: لم أرهم يفرقون بينهما، ولا أنكر أنْ يكون القلب هي العقلة السوداء في جوفه[٨٣].

وأما **الفؤاد**، ففي كتب اللغة: هو القلب،وقيل: غشاء القلب، والقلب حبّته وسويداؤه، والجمع أفئدة[٨٤].

والقرآن الكريم يتناول الفؤاد على انه موئل الفكر، وجهاز الإدراك أيضاً، فيقول سبحانه: **(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)**[٨٥]. وقوله تعالى أيضاً: **(كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً)**[٨٦].وهكذا نجد أنّ القرآن الكريم يعبّر عن القوة المدركة في الإنسان – حسب الظاهر – بالعقل أو الفؤاد أو القلب.

يقول الدكتور احمد الوائلي: (إنّ القرآن الكريم أنْ يعبّر بالقلب عن العقل لأنه يخاطب العرب حيث نزل بلغتهم وهم يعبرون عن العقل بالقلب)[٨٧].

وهو ما نلحظه في قوله تعالى: **(فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ)**[٨٨]. وقوله تعالى: **(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم)**[٨٩].

وفي قوله تعالى: **(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)**[٩٠].فإننا نلحظ أهمية البحث العلمي في القرآن الكريم وكيف أنّ الإسلام ينهى عن أنْ يقول الإنسان ما لم يسمع، أو ما لا يقوم على العلم، أو يتحدث عن أشياء لم يرها، إذ العلم وحده هو الميزان دون إتباع الظن والوهم والحدس، أو الاعتماد على الشكّ والإشاعة، لان سبيل الاعتماد على هذه المصادر يؤدي إلى آثار خطرة على حياة الفرد والمجتمع ،هذه الآثار يمكن أنْ نلحظها كما يلي[٩١]:

١- إنّ اعتماد ما هو دون العلم يؤدي إلى هضم حقوق الإفراد وإعطاء الحق لغير صاحبه .
٢- الاعتماد على الظن وما شابهه يؤدي إلى تعريض كرامة الإنسان المؤمن للخطر، ويقلل أيضاً من اندفاع وحماس المخلصين.
٣- اعتماد ما هو دون العلم ، يؤدي إلى انتشار الشائعات .
٤- اعتماد الظن وغيره يقضي على ملاكات الدقة والبحث والتحقيق عند الإنسان ويجعله ساذجاً سريع التصديق.
٥- إنّ الاعتماد على غير العلم ينقض العلائق الودية الحميمة القائمة بين الناس في البيت والسوق ومحل العمل، ويجعل بعضهم يسيء الظن بالبعض الآخر.
٦- اعتماد غير العلم يفسد في الإنسان قابلية الاستقلال الفكري ويجعله عرضة للأفكار الفاسدة.
٧- إنّ اعتماد غير البحث العلمي يكون قاعدة للتعجل في انتخاب الأشياء والحكم على الأشخاص والمعلومات مما يسبب الندامة والفشل فيما بعد.

ففريضة البحث والتفكير وإعمال العقل يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميّز بين الأمور ويوازن بين الأضداد، ويتبصّر ويتدبّر وهو العقل الذي يقابل الجمود والعنت والضلال[٩٢].وهذا العقل الذي يبغيه القرآن هو الباحث في الكون عن السنن لكي يكتشفها، التي تأخذ به إلى التدبّر واستشعار عظمة الخالق ثمّ

تقواه، بشرط إلا يكون متّبعاً الطريق المعوّج وإنما يكون فهم الكون والحياة طريقاً للوصول إلى الله T[٩٣].وهذا ما يجعل الباحث يقول: (**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**)[٩٤].

والخلاصة: أنّ القرآن الكريم أمرنا بالبحث والنظر والتعلم والإحاطة بكل معلوم يصدر عن العقول[٩٥]. ذلك أنّ المسلم أولى من غيره بطرق التقدم وطرق العلم الحديث وبكل علمٍ من علوم المعرفة لأنه مأمور بالبحث عن إسرار الكون ومطالب بالفهم والتفكر[٩٦]، ومن ثمّ فالمسلم اقدر من غيره على البحث والاستخدام المثمر الصحيح الذي يوصل إلى نتائج علمية مستقيمة[٩٧].

وذلك لان معه المنهج الرباني والتوفيق الإلهي واستقامته مع ربه، فكلما حدث خلل أو تعثرت الأمور أمامه فزع إلى ربه، فلن يضل أبداً ما دام يسير في هذا الطريق الإلهي .

فماذا يكون مصير الأمة الإسلامية إذا لم تأخذ فريضة البحث؟

ليس لهم مصير إلا التخلف والاضمحلال بين الأمم لأنهم عطلوا وسائل المعرفة العلمية والبحث ونقضوا استخلافهم في الأرض والتي من أهم مقومات القيام على عمارتها بالتفكّر والنظر والتدبّر والسير في الأرض وبكل ما أتيح للمسلم من أدوات ووسائل تنفيذاً لأوامر الله عزوجل[٩٨].

هذا هو مصير الأمة إذا لم تأخذ بفريضة البحث العلمي واستغلال ما أتيح لها من وسائل لتحصيل المعرفة العلمية الصحيحة.

رابعاً : العلوم الطبيعية في المفهوم القرآني

إنّ نظرة القرآن الكريم نظرة شاملة تحوي بداخلها الظواهر الكونية، وما يدخل تحت اسم العلوم الطبيعية، التي تعرّض لها القرآن في أكثر من موضع على جهة الاختصاص لان القرآن والكون تعبيران لحقيقة واحدة ،وما فصّل في الآيات من المبادئ والحكم جُعل أساساً لهذا الكون، فالكون تصديقٌ عملي للقرآن أو بتعبير آخر إنّ القرآن إظهار لفظيٌّ للحقيقة الربانية، وان بقية الكون إظهارٌ عملي لتلك الحقيقة[٩٩].

وكلا الجانبين (اللفظي والعملي) يُعضّد كل منهما الآخر في ظلّ المفهوم القرآني. فنجد الآيات التي تتحدث عن الكون تبدأ بوقائع عملية ثمّ تنتهي بالتفكر والتدبّر والعبرة،فهي تبدأ بالملاحظة وتنتهي إلى السبب

قال تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)[١٠٠].فهذه أحداث واقعة في الكون مرتبطة بالجانب الفكري والعملي، وعلى المسلم أنْ يتدبّرها ويصل من وراء هذا التدبّر والفكر إلى أنّ الله قد خلق له هذا الكون وسخره له وعليه أنْ يجتهد في البحث في السنن الإلهية التي تحكم الكون مع الالتزام بالحق وتفهّم القوانين ويرضى بكل مجريات الأمور، ويوقن أنّ أمور الكون وما فيه كلها بيد الخالق العظيم[١٠١].

ذلك أنّ التصوّر للكون في المفهوم القرآني يقوم على فكرة أنّ الوجود كله من خلق الله تعالى أودعه سبحانه قوانينه التي تتحرك بها، والتي تتناسق مع حركة أجزائه فيما بينها، كما تتناسق بها حركته الكلية، لان وراء هذا الكون مشيئة وقدرة وناموس[١٠٢]، وهذا الناموس يتسق بين مفردات هذا الوجود وينظّم حركته جميعاً، فلا تصادم ولا اختلال

ولا تعارض[١٠٣].لان المؤمن الذي يفهم شهادة أنّ لا إله إلا الله وانّ محمداً رسول الله في إطارها الشامل يجمع بين وحدة النظام في بناء الذرة وبناء المجموعة الشمسية ووحدة الطاقة بردها إلى أصل واحد وان تعددت صورها، وبين وحدة الحركة في طواف الالكترونات حول النواة وطواف الكواكب حول الشمس وطواف المسلمين حول الكعبة[١٠٤].

خامساً: العلم واليقين في المفهوم القرآني:

١- العلم سبيل اليقين:

وكما إن العلم – كما يصوره المفهوم القرآني – دليل الإيمان، فهو كذلك سبيل اليقين، وهو – كما قال الراغب الاصفهاني– سكون الفهم مع ثبات الحكم. وهو من صفة العلم، فوق المعرفة والدراية وأخواتها. يقال: علم يقين، ولا يقال: معرفة يقين[١٠٥].

وهو يقابل الظن والشك. وقيل: اليقين: العلم وزوال الشك. ولهذا قال تعالى في خطاب المشركين: (وإذا قيل إن وعد الله حقٌ والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمُستيقنين)[١٠٦]. وفي شان الذين زعموا قتل عيسى: **(ما لهم به من علم إلا إتباع الظن،وما قتلوه يقينا)**[١٠٧].

واليقين بالله تعالى وآياته ولقائه هو ما يسعى إليه كل مؤمن، ويحرص على تحقيقه، ليجد فيه ثلج صدره، وطمأنينة قلبه، وسكينة نفسه، وإنما يصل إلى هذه المرتبة بالعلم ورسوخه، الذي يطرد الجهل والظن والشك. يقول تعالى: **(قد بينا الآيات لقوم يوقنون)**[١٠٨]، وقوله تعالى: **(وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون)**[١٠٩]؛ وغيرها من الآيات المباركة[١١٠]. والملاحظ إن لليقين درجات وأسباب لحصوله:

٢- درجات اليقين:

واليقين – كما ذكره القرآن – درجات ثلاث:

أولها: علم اليقين. واليها الإشارة بقوله تعالى: **(كلا لو تعلمون علم اليقين)**[١١١].

وثانيها: عين اليقين، واليها يشير قوله تعالى: **(لترون الجحيم، ثم لترونها عين اليقين)** [١١٢].

وثالثتها: حق اليقين. واليها الإشارة بقوله تعالى: **(إن هذا لهو حق اليقين)** [١١٣].

٣- أسباب التوجه لحصول اليقين:

١-الانتباه: وهو سبب لابد منه لان الغافل قد يفوته الكثير مما وضح.

٢-سلامة الذهن: وهذا الأمر مهم جداً لحصول العلم، لان من كان مصابا بذهنه يتطرق إليه الشك في أجلى الأمور وينقص عقله قدرته على الإدراك والفهم.

٣-سلامة الحواس: مادامت الحواس هي منافذ الإنسان على عالمه الخارجي فسلامتها تكون من الضرورة بمكان، وهي تخص المحسوسات أكثر من غيرها، فمن فقد حاسة أو أصيب بضعف فيها فانه يفقد من العلم المتعلق بالحاسة منظوراً كان أم مسموعاً أو غيرها[١١٤].

٤-فقدان الشبهة: لأنه في حالة قيام حجة باطلة في العقل تتنافى مع بديهية من البديهيات، ويعرض عن مغالطتها، يكون الشك قائماً والاعتقاد بعدمها متوقعاً.

٥-عملية غير عقلية: مادام الإنسان لا يحتاج إلى إدامة الفكر وإنعام النظر للعلم بالبديهية حتى ولو أصابه العناء من جراء سفر أو إجراء تجربة فلا

يخرجه من العلم الضروري إلى العلم النظري مادام غير محتاج للعملية العقلية،كالاستماع في المتواترات،وكالتجربة في التجريبيات وغيرها[١١٥].

نتيجة: وعليه فان توفرت أسباب التوجه حصل اليقين وأذعنت النفس للتصديق؛ إذ (ها هنا حقيقة قرآنية لا مجال لإنكارها، وهي إن دخول الإنسان في حظيرة الولاية الإلهية، وتقربه إلى ساحة القدس والكبرياء يفتح له باباً إلى ملكوت السماوات والأرض يشاهد منه ما خفي على غيره من آيات الله الكبرى، وأنوار جبروته التي لا تطفأ،...، قال تعالى: (**وَكَذَلِكَ نُرِي إبراهيمَ مَلَكُوتَ السَمَوَاتِ والأرضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ**)[١١٦]، فربط وصف الإيقان بمشاهدة الملكوت.. ولا ينافي ثبوت هذه الحقيقة ما قدمناه إن القران الكريم يؤيد طريق التفكر الفطري الذي فطر عليه الإنسان وبنى عليه بنية الحياة الإنسانية، فان هذا طريق غير فكري،وموهبة إلهية يختص بها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)[١١٧].

خلاصة:

لحظنا من ثنايا البحث ان القرآن الكريم قد رسم سياسة العلوم الطبيعية، في إطار قوانينها وضبطها علمياً مع لفت نظر الإنسان إلى علل الأشياء وأسبابها وتهيأت المناخ العلمي والعقلي للإنسان الذي يدفعه بذلك إلى البحث والكشف عن حقائق الكون الذي فيه آيات الله، والتي تدعو بمنطق علمي لمعرفة الله عن طريق آلآئه، لان القرآن لم يقم كهنوتاً يحتكر العلوم الطبيعية[١١٨].

واتضح إن ضرورة الإيمان الواعي المتدبر تشمل الجوانب الاعتقادية أساساً، والتي لا بدّ أنْ تكون عن قناعة وبعيدة عن المحاكاة والتقليد، وكذلك الجوانب الأخرى للتشريع الإسلامي، إذ تعتبر المعرفة ملاك كلّ عمل وعبادة، وذلك أنّ كل حركة وعمل يجب أنْ يكون مبنيّاً على المعرفة والعلم، وما كان فاقداً لهذا الأساس فلا قيمة لـه.فقد ورد عن الإمام علي(ع): (**ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة**)[١١٩].

وكذلك لحظنا أنّ المعرفة هي أفضل أنواع العبادات والقربان، حتى أنّ قيمة كل عبادة وقربة إنما تناط بمبلغ معرفة العامل والعابد، فالمعرفة والعلم مقياس قيمة الإنسان .. ولذا فانّ الإيمان الذي لا يقترن بالعلم ليس له تأثير يُذكر، سواء على مستوى الاعتقاد أو العمل والسلوك، حيث العمل لا بدّ أنْ يكون ثمرة الاعتقاد.

وقد ربط القرآن الكريم في وضوح بين خشية العلماء لله والعلوم الطبيعية، فقال تعالى: (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**)[١٢٠].

فالعلماء – بالمفهوم القرآني – ليسوا أولئك الذين تحوّلت أدمغتهم إلى صناديق الآراء والأفكار المختلفة من هنا وهناك ومليئة بالقوانين والمعادلات العلميّة للعالم وتلهج بها ألسنتهم، أو الذين سكنوا المدارس والجامعات والمكاتب، بل إنّ العلماء هم أصحاب النظر الذين أضاء نور العلم والمعرفة كل وجودهم بنور الله والإيمان والتقوى، والذين هم اشدّ الناس ارتباطاً بتكاليفهم مع ما يستشعرونه من عظمة المسؤولية إزاءها.

وبطبيعة الحال لحظنا أنّ العلم حول الموجودات والظواهر الطبيعية يؤدي بالعلماء المؤمنين إلى الخشوع أمام الله ، وإلا فانّ من لا إيمان لهم، لا تشملهم الآية الكريمة (**إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ**) وان كانوا مطّلعين على بعض العلوم الطبيعية.

وهو مصداق أيضاً لقوله تعالى: (**قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ**)[١٢١].

ولحظنا إن دراسة الظواهر الطبيعية من قبل الأفراد غير المؤمنين لا تقرب هؤلاء من الله (عزوجل). وذلك (لان العالِم – الرباني – كلما ازداد علماً أدرك أنّ وراء هذا النظام، في هذا الكون قدرة إلهية عالية تحفظه وتحميه فيزداد خشية وخضوعاً لأحكامه وإتباعاً لأوامره)[١٢٢].

فبمقدار تعمّق العالم في البحث في الكون تكون خشيته لله تعالى، لأنه يرى من نواميس الكون و الخلق المتقن ما يجعله يسجد لمبدع الكون.

إذ العلاقة متبادلة بين المعرفة والإيمان أو بين العقل والإيمان، فالإيمان في تكونه الأساسي يتكل على العقل وحده، ثم في البحث عن تفاصيل المعرفة والفكر وخاصة ما يتعلق بالجانب العملي في حياة الإنسان، فان من يفقد الإيمان يفقد علماً، وسيكون أسيراً لما عليه نفسه من صفات فقد يستبعد ما هو قريب ويستقرب ما هو بعيد، لكن هذا لا يعني إن الإيمان هو الذي يقرر قرب شئ أو بعده تعبداً، إذ لا تعبد في الفكر، وإنما يعني ذلك إن العقل لو كان سليماً عن أي منافسة مع الشهوات والميول والأهواء، كان اقدر على إدراك الأمور على ما هي عليه، فلو كان هناك تعبد في شان من الشؤون، فان العقل قادر على إدراك صحة هذا التعبد في مورده، والعقل هو النفس والقلب بوجههما الفكري، وهما العقل بوجهه الوجداني.

والعلم الاكتسابي في المفهوم القرآني محصور بالمنهج والمقصد، فيلزم فيه أن يكون محصناً بمنهج الحق الخالي عن الهوى والوهم والأعراف الفاسدة، مقصوداً به إلى الخير والنفع.

فهذا الإيمان المبني على الرؤية الواضحة والبصيرة النافذة، والتدبّر فيما خلق الله، والقناعة المبنية على أساس المعرفة والتفكير العلمّي، هو المطلوب حقاً للإنسان المؤمن، والعامل الرسالي للعِلم في المفهوم القرآني.

والحمد لله رب العالمين

الهوامش

(١) ظ: روبرت،م.أغروس وجورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد،ترجمة: كامل خلايكي،عالم المعرفة،الكويت، ١٩٨٩م، ص١٣٤.

(٢) ظ: د. عمار طالبي، مفهوم الكرامة الإنسانية في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،٢٠٠٥م، ص٦٣٠.

(٣) ظ: د. نعمه محمّد إبراهيم، محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ألقيت على طلبة كلية الفقه، جامعة الكوفة،٢٠٠٨م.

(٤) يصعب هنا حصر جميع الأدبيات الحديثة والمعاصرة في مختلف مجالات فلسفة العلوم، ولكن يكفي أن نذكر من الترجمات والمؤلفات العربية على سبيل المثال:ظ: بول موي، المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة: د.فؤاد زكريا،القاهرة، ١٩٧٢م، جورج لندبرج، هل ينقذنا العلم، ترجمة: د.أمين الشريف،

بيروت، ١٩٦٣، د.عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث في العلوم، القاهرة،١٩٦٥، فؤاد زكريا، الإنسان والحضارة في العصر الصناعي، القاهرة، ١٩٥٧..

(٥) ظ: د.زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة،١٩٨٢م، ص٣٣.

(٦) ظ: د. محمود رجب، الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، مصر، ١٩٨٦م، ص٤٢.

(٧) مدخل إلى العلوم الإسلامية، ترجمة: حسن علي الهاشمي، دار الكتاب الإسلامي، إيران، ط٣، ٢٠٠٦م، ص١٢.

(٨) ظ: على سبيل المثال: قدري حافظ طوقان، العلوم عند العرب، القاهرة،١٩٦٠، عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت،١٩٧٧،..

(٩) ظ: على سبيل المثال: عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، القاهرة، ١٩٧٢، وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، القاهرة، ١٩٧٧، ...

(١٠) يؤكد ذلك الشيخ محمّد رشيد رضا بقوله: (تقرأ قاموس الكتاب المقدس فلا تجد فيه كلمة (العقل) ولا ما في معناه من أسماء هذه الغريزة البشرية التي فضل الإنسان بها جميع أنواع هذا الجنس الحي كاللب والنهى، لا لان هذه المادة لم تذكر في كتب العهدين مطلقًا، بل لأنها لم ترد فيها أساساً لفهم الدين ودلائله والاعتبار به، ولا إن الخطاب بالدين موجه إليه، وقائم به وعليه، وكذلك التفكر والتدبر والنظر في العالم التي هي أعظم وظائف العقل.)، الوحي المحمدي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٦٠.

(١١) ظ: د. احمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية في الفكر العلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٠٩م،٩١.

(١٢) سورة النساء: ٨٢، ظ: في تفسيرها،محمد حسين الطباطبائي (ت١٤١٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، ١٩/٥.

(١٣) سورة، الأنفال،٦٠.

(١٤) سورة الممتحنة، ١٠.

(١٥) ظ: مفردات ألفاظ القرآن، ص٥٨٠.

(١٦) وهناك تقسيمات للعلم من حيث تعليم الله تعالى للعبد، وينقسم إلى: ١- العلم أللدني: وهو علم الهي لدني يهبه الله سبحانه لمن يمن عليه من عباده، ٢- العلم المكتسب: وهو علم يدركه العبد بطلبه (مناط البحث)، كما ينقسم العلم من حيث المحتوى إلى قسمين: ١- علم المقاصد: وهو العلم الذي يحتوي على المسائل الصحيحة والحق النافع الذي يقوله الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسولهο، ٢- علم الوسائل: هو ما أعان على علوم المقاصد، من العلوم العربية وعلوم الكون وغيرها. للتوسعة في هذه التقسيمات ظ: لوئيس معلوف، المنجد في اللغة، انتشارات ذوي القربى، إيران، ط٣٧، ٢٠٠١م، ٥٢٧، www alminbr nez

(١٧) ظ: الزبيدي، تاج العروس، ٤٩٥/١٧.

(١٨) ظ: في ذلك أيضاً الجرجاني (ت٨١٦هـ) علي بن محمّد، كتاب التعريفات، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٢٦.

(١٩) سورة يوسف،٥٨.

(٢٠) سورة النحل، ٨٣.

(٢١) تاج العروس، ٤٠٥/٨.

(٢٢) سورة البقرة، ٨٩.

(٢٣) سورة يوسف، ٥٨.

(٢٤) ظ: مفردات ألفاظ القرآن، ص٥٦١.

(٢٥) ظ: م ن،٨٦.

(٢٦) سورة يونس: الاية١٠١.

(٢٧) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٠/ ٢٥٣

(٢٨) ظ: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار المنار، ١٣٧٣ هـ، ص ٤٧

(٢٩) سورة طه : الآية ١١٤

(٣٠) الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١، ٣ / ٩١

(٣١) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ١٠ / ٦٣

(٣٢) سورة الرحمن : الآيات ١ – ٤

(٣٣) الشيرازي، الأمثل، ١٧ / ٢٦٧

(٣٤) نفس المصدر، ١٧ / ٢٦٩

(٣٥) ظ : عباس العقاد، التفكير فريضة إسلامية، نهضة مصر للطبع والنشر، (د ت)، ص ٥٧.

(٣٦) سورة آل عمران، الآية ١٩١

(٣٧) الشيرازي، الأمثل، ٣ / ٣٤

(٣٨) ظ : علاء الحسون، تنمية الوعي، دار الغدير، قم، ٢٠٠٣ م، ص ١٤٤

(٣٩) سورة المجادلة : الآية ١١

(٤٠) الشيرازي، الأمثل، ١٨ / ٩٩

(٤١) سورة آل عمران : الآية ١٨.

(٤٢) الشيرازي : الأمثل، ٢ / ٢٩٣.

(٤٣) ظ : د. زغلول راغب النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي،مركز البحوث والمعلومات،قطر،١٩٨٨،ص٧٣

(٤٤) نظرات في القرآن، إصدارات بيت القرآن، الكتاب الخامس، البحرين، ١٩٩٣، ص ١٢٠

(٤٥) سورة الروم : الآية ٣٠

(٤٦) ظ : سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ١٩٨٧، ط ١٣، ص ٣٧٦

(٤٧) الشيرازي، الأمثل، ١٢ / ٣٧٩

(٤٨) ظ: والد ماركمفرت، فتوحات علمية، ترجمة: يوسف الحاروني، مراجعة: عبد الفتاح إسماعيل،مؤسسة سجل العرب،١٦٦٤،ص٢٥٤

(٤٩) ظ : د. زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، مكتبة الانجلو، ١٩٨٠، ٢ / ٩

(٥٠) د. زكي نجيب محمود، جابر بن حيان، مكتبة مصر، (د ت)، ص ٤٥

(٥١) سورة الأعراف : الآية ١٧٢ – ١٧٣

(٥٢) د. فوقية حسين محمود، مقالات في أصالة المفكر المسلم، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٨٨، ص ١١

(٥٣) ظ: د. عمر سليمان الأشقر،العقيدة في الله،دار النفائس للنشر، الكويت، ص٦٥، د.محمّد حسن الحمصي، الإيمان بالله،دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ص ١٣

(٥٤) ظ : عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار العلم، بيروت، ط ٢، ص ٥٩.

(٥٥) ظ: الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة للنشر، بيروت، ابن تيمية، منهاج السنة، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٢، ٢/٢٠٢

(٥٦) سورة آل عمران: الآية ١٩

(٥٧) سورة آل عمران : الآية ٨٥

(٥٨) ظ : د.محمّد السيد الجليند، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، مكتبة الزهراء، ١٩٩٠، ص ١٤

(٥٩) ظ : د.عبد العليم عبد الرحمن خضر،المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن،دار السعودية للنشر والتوزيع،١٩٨٤،ص١٥٠

(٦٠) سورة لقمان : الآية ٢٧

(٦١) الشيرازي، الأمثل، ١٣ / ٤٧

(٦٢) ظ : د.محمّد السيد الجليند، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، ص ١٤

(٦٣) سورة الإسراء : الآية ٨٥

(٦٤) سورة طه : الآية ١١٤

(٦٥) سورة النساء : الآية ١١٣

(٦٦) ظ : د.محمّد السيد الجليند، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، ص ١٥

(٦٧) سورة البقرة : الآية ٢٥٥

(٦٨) د. أنطوان المقدسي، العقل وغير العقل في الوجود العربي، ضمن كتاب العقلانية العربية والمشروع الحضاري، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، سلسلة الندوات(٦)،١٩٩٢م،ص٥٦.

(٦٩) عباس العقاد، التفكير فريضة إسلامية، ص ٤

(٧٠) ظ : د. واضح الصمد، الحضارة العربية الإسلامية في عصر صدر الإسلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان،ص ٥٥

(٧١) ظ : إحياء علوم، ١٠ / ١٦٧ - ١٦٨

(٧٢) سورة طه : الآية ١١٤.

(٧٣) سورة النحل: الآية ٧٨

(٧٤) سورة الملك : الآية ٢٣

(٧٥) مفتاح دار السعادة ومنشورات ولاية العلم والإرادة، تحقيق: سيد عمران وعلي محمد علي، دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٤م، ١/١٠٥.

(٧٦) ظ: د.صادق الهلالي وآخر، الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن، ص٢١.

(٧٧) مفتاح السعادة، ١/١٠٦.

(٧٨) عباس العقاد، التفكير فريضة إسلامية، ص ٨

(٧٩) سورة البقرة : الآية ٢٤٢

(٨٠) سورة يوسف : الآية ٢

(٨١) سورة الأنعام : الآية ١٥١

(٨٢) سورة ق : الآية ٣٧

(٨٣) ظ : ابن منظور أبو الفضل بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، نشر: أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ، ١١ / ٢٧١

(٨٤) ظ : ابن منظور، لسان العرب، ١ / ١٦٦

(٨٥) سورة الإسراء الآية ٣٦

(٨٦) سورة الفرقان، الآية ٣٢

(٨٧) نحو تفسير علمي للقرآن، مطبعة الآداب في النجف الاشرف، من هدي النجف، ١٣٩١ هـ، ص ٥٢

(٨٨) سورة البقرة : الآية ٩٧

(٨٩) سورة الأنعام : الآية ٤٦

(٩٠) سورة الإسراء : الآية ٣٦

(٩١) ظ : ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ٨ / ٣٥٤

(٩٢) ظ : عباس العقاد، التفكير فريضة إسلامية، ص ١٤.

(٩٣) ظ : د.إبراهيم الصياد، المدخل الإسلامية للطب، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٧

(٩٤) سورة آل عمران: الآية ٩

(٩٥) ظ: عباس العقاد، التفكير فريضة إسلامية، ص ٦٠

(٩٦) ظ : م ن، ص ١٤٤

(٩٧) ظ : محمّد بن صامل السلمي، منهج كتاب التاريخ الإسلامي وتدريسه، دار الوفاء للطباعة والنشر،المنصورة،١٩٨٨،ص٤٤ .

(٩٨) ظ : منتصر محمود مجاهد، أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،القاهرة،١٩٩٦،ص٢٥

(٩٩) ظ: وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، المنهج والشروط، ترجمة: محسن عثمان الندوي،دار الصحوة، ١٩٨٤،،ص٧٨

(١٠٠) سورة الرعد : الآية ٣

(١٠١) ظ : د.زغلول راغب النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي، ص ٧٣

(١٠٢) ظ: د.عبد الحليم محمود، موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة، دار الشعب، القاهرة،١٩٧٩، ص٥، وللتوسعة ظ: منتصر محمود مجاهد،أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية،ص٢١-٢٩، د.محمد احمد درينقة،القرآن والعلم،دار الأرقم للطباعة والنشر،٢٠٠٣، ص٥٨

(١٠٣) ظ : د.توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء للطباعة والنشر،المنصورة،١٩٨٨،ص١٨٠

[1] ظ : د.احمد فؤاد باشا، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، دار المعارف، ١٩٨٤، ص ٣٥ - ٣٦

(١٠٥) ظ: مفردات القرآن، ص٨٩٣.

(١٠٦) سورة الجاثية، ٣٢.

(١٠٧) سورة النساء، ١٥٧.

(١٠٨) سورة البقرة، ١١٨.

(١٠٩) سورة الجاثية، ٤.

(١١٠) ظ: سورة الذاريات،٢١، سورة الجاثية، ٢٠، سورة الرعد، ٢،.. .

(١١١) سورة التكاثر، ٥.

(١١٢) سورة التكاثر،٦-٧.

(١١٣) سورة الواقعة، ٩٥.

(١١٤) ظ: محمد رضا المظفر، المنطق، منشورات اسماعيليان، إيران،٢٢/١.

(١١٥) نفس المصدر، ٢٢/١-٢٣.

(١١٦) سورة الأنعام، ٧٥.

(١١٧) الطباطبائي، الميزان، ٢٦٧/٥.

(١١٨) ظ : د.احمد سليم سعيدان،مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام،عالم المعرفة،عدد ١٣١،المجلس الوطني،الكويت،١٩٨٨،ص٨٣

(١١٩) بن شعبة الحراني (توفي القرن الرابع الهجري)، تحف العقول عن آل الرسول ﴿، تعليق: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢، ١٤٠٤ هـ، ص١٧١. ألمجلسي:(ت١١١١هـ)، بحار الأنوار،دار الفكر،بيروت،٢٦٧/٧٤

(١٢٠) سورة فاطر : الآية ٢٧ - ٢٨

(١٢١) سورة يونس : الآية ١٠١

(١٢٢)) ظ : د.عبد الله شحاته، تفسير الآيات الكونية، دار الاعتصام، القاهرة، (د ت) ص ٢٤٤ .

قائمة المصادر

خير ما نبدأ به: القرآن الكريم.

١- د. إبراهيم الصياد، المدخل الإسلامية للطب، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٧.

٢- د. احمد الوائلي، نحو تفسير علمي للقرآن، مطبعة الآداب في النجف الاشرف،من هدي النجف،١٣٩١هـ.

٣- د. احمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية في الفكر العلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،٢٠٠٩م.

٤- د. احمد سليم سعيدان،مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام،عالم المعرفة،عدد ١٣١،المجلس الوطني،الكويت،١٩٨٨.

٥- د.احمد فؤاد باشا، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، دار المعارف، ١٩٨٤.

٦- د. أنطوان المقدسي، العقل وغير العقل في الوجود العربي، ضمن كتاب العقلانية العربية والمشروع الحضاري، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، سلسلة الندوات(٦)،١٩٩٢م.

٧- د.توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية،دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة،١٩٨٨.

٨- ابن تيمية، منهاج السنة،تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٢.

٩- الجرجاني (ت٨١٦هـ) علي بن محمّد، كتاب التعريفات، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٠- الزمخشري،الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١.

١١- د.زغلول راغب النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي، مركز البحوث والمعلومات، قطر، ١٩٨٨.

١٢- د. زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، مكتبة الانجلو، ١٩٨٠.

١٣- روبرت،م.اغروس وجورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، ترجمة: كامل خلايكي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩م.

١٤- د. سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية،منشورات ذات السلاسل،الكويت، ط٢، ١٩٨٦م.

١٥- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ١٩٨٧، ط ١٣.

١٦- بن شعبة الحراني (توفي القرن الرابع الهجري)، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تعليق: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ٢، ١٤٠٤ هـ.

١٧- د. عمر سليمان الأشقر،العقيدة في الله،دار النفائس للنشر،الكويت.

١٨- عباس العقاد، التفكير فريضة إسلامية، نهضة مصر للطبع والنشر، (د ت) .

١٩- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار العلم، بيروت، ط ٢، (د ت).

٢٠- د. عبد الله شحاته، تفسير الآيات الكونية، دار الاعتصام، القاهرة، (د ت).

٢١- علاء الحسون، تنمية الوعي، دار الغدير، قم، ٢٠٠٣ م.

٢٢- د. عمار طالبي، مفهوم الكرامة الإنسانية في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،٢٠٠٥م.

٢٣- د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن، دار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

٢٤- الغزالي (ت٥٠٥هـ) أبو حامد،إحياء علوم الدين،دار المعرفة للنشر، بيروت.

٢٥- د. فوقية حسين محمود، مقالات في أصالة المفكر المسلم، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٨٨.

٢٦- د. فؤاد أبو حطب وآخر، التفكير دراسات نفسية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢.
٢٧- ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشورات ولاية العلم والإرادة، تحقيق: سيد عمران وعلي محمد علي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢٨- لوئيس معلوف، المنجد في اللغة، انتشارات ذوي القربى، إيران، ط٣٧، ٢٠٠١م.
٢٩- ألمجلسي محمد باقر(ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، دار الفكر، بيروت، (د ت).
٣٠- محمد الغزالي،نظرات في القرآن، إصدارات بيت القرآن، الكتاب الخامس، البحرين، ١٩٩٣.
٣١- محمّد بن صامل السلمي، منهج كتاب التاريخ الإسلامي وتدريسه، دار الوفاء للطباعة والنشر،المنصورة،١٩٨٨
٣٢- د. محمّد حسن الحمصي،الإيمان بالله،دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، (د ت).
٣٣- د. محمد احمد درينقة،القرآن والعلم،دار الأرقم للطباعة والنشر،٢٠٠٣.
٣٤- د. محمّد السيد الجليند، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، مكتبة الزهراء، ١٩٩٠.
٣٥- محمّد عبده،الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار المنار، ١٣٧٣هـ.
٣٦- محمّد رشيد رضا، الوحي المحمدي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٨م.
٣٧- مرتضى ألمطهري، مدخل إلى العلوم الإسلامية، ترجمة: حسن علي الهاشمي، دار الكتاب الإسلامي، إيران، ط٣، ٢٠٠٦م.
٣٨- مينتصر محمود مجاهد، أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،القاهرة،١٩٩٦.
٣٩- ابن منظور أبو الفضل بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.
٤٠- ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط٢، ٢٠٠٥.
٤١- نبيل محمّد السمالوطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، جدة، دار الشروق، ١٩٨٠.
٤٢- د. نعمة محمد إبراهيم، الفلسفة الإسلامية، محاضرات ألقيت على طلبة كلية الفقه، جامعة الكوفة، ٢٠٠٨م.
٤٣- والد ماركمفرت، فتوحات علمية،ترجمة: يوسف الحاروني،مراجعة: عبد الفتاح إسماعيل، مؤسسة سجل العرب،١٩٦٤.
٤٤- د. واضح الصمد،الحضارة العربية الإسلامية في عصر صدر الإسلام،المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان،(د ت).
٤٥- وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، المنهج والشروط، ترجمة: محسن عثمان الندوي، دار الصحوة، ١٩٨٤.
٤٦- www alminbr nez

Abstract

The present study is concurred with the art oratory and eloquence heritage by Hashim and his sons, since they represented the most honorable family in Mecca and those who had the honor of being in charge of the sacral AL-Ka'ba, and catering for the needs of its pilgrims. Among the most eloquent orators was Hashim bin Abdimanat himself and Abdil – Mutalib bin Hashim, and Aqeel bin Abi – Talib.